أبو عبد الله محمد «آخر ملوك بني الأحمر»:
«٨٧٧-٨٨٨هـ/ ١٤٧٢- ١٤٨٣م»

تعرض الموحدون في الأندلس لهجمات متكررة من المسيحيين عقب هزيمتهم في موقعة حصن العقاب عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، فهان أمرهم، وتعرضوا لهجمات أشد من المسيحيين ومن المنافسين من المسلمين حتى تبددت قوتهم، وتركوا الأندلس عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م.

وتعرضت الإمارات والمدن الإسلامية عقب جلاء الموحدين عن الأندلس لزحف سريع لم يكن يتوقف إلا لتبدأ جولة أخرى من الهجمات. وخلال سنين قليلة اكتسح المسيحيون أكثر البقاع الإسلامية، فاحتل فرديناند الثالث، ملك قشتالة وجليم الأول، ملك أراجون- مدن بلنسية وقرطبة ومرسية عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م، ومدينة أشبيلية عام ٦٤٦هـ.

وأصبح ملك المسلمين محصوراً في غرناطة تلك المقاطعة التي كانت تقع بين جبال نيفادا- جبال الثلوج كما كان يسميها العرب- وساحل البحر المتوسط.

وبدأ ملك بني الأحمر في غرناطة عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م، واستمر قرنين ونصف القرن من الزمان، قدَّم فيها الجند المسلمون الوافدون من الممالك الإسلامية التي سقطت إلى غرناطة- وهي الرقعة الإسلامية الوحيدة التي بقيت إذ ذاك للمسلمين بالأندلس- سواعدَهم وسيوفَهم لحماية ما بقي للمسلمين هناك.

وكان مؤسس دولة بني الأحمر محمد الأول الغالب بن الأحمر- عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م- رجلاً بصيراً بالأمر؛ أحسن سياسة رَعيَّته، مما أطال عمر تلك

الدولة. وساعد على إطالة عمرها أيضاً انشغال ملوك الفرنجة بتنظيم ما فتحوه من ممالك كانت تحت سلطة حكم المسلمين.

ولن يغفر التاريخ لآخر ملوك هذه الأسرة، أبي عبد الله محمد ٨٧٧-٨٨٨هـ/ ١٤٧٢-١٤٨٢م، ٨٩٢-٨٧٩هـ/ ١٤٨٦-١٤٩١م- خيانته للدعوة الإسلامية؛ تحقيقاً لأطماع شخصية لم ينل منها شيئاً؛ فقد تعاون مع فرديناند ملك قشتالة وزوجته إيزابيلا لإسقاط عمه محمد بن سعد المعروف بالزغل ٨٩٠-٨٩٢/ ١٤٨٤-١٤٨٦م، طمعاً في الاحتفاظ بالحكم لنفسه، وكانت جيوش أبي عبد الله محمد (الخائن) تتصدى لجيوش عمه كلما اتجهت تلك الجيوش للدفاع عن حصون المسلمين وبلادهم. ولما تم النصر للمسيحيين على عمه محمد بن سعد الزغل ارتكب أبشع حماقة حينما بعث يهنئ فرديناند بالنصر.

واضطر أبو عبد الله محمد (الخائن) آخر الأمر أن يسلم مفاتيح غرناطة آخر مدينة إسلامية بالأندلس لفرديناند عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م. وهاجر بعدها إلى إفريقية حيث أخذ يقضي باقي حياته على التسول والاستجداء.

* * *

السمح الخولاني:

السادس من ولاة الأندلس إبّان الخلافة الأموية بالشام، وهو السمح بن مالك الخولاني، نسبة إلى بني خولان من قضاعة، ولاه عليها عمر بن عبد العزيز عام ١٠٠هـ/ ٧١٨م، خلفاً للحرّ الثقفي الذي أعفاه عمر لشدَّة عرفت عنه، وكانت ولاية الأندلس حتى ذلك التاريخ تابعة لأمير إفريقية، فهو الذي كان يعين والي الأندلس من قِبَله، ثم يُقِرُّه الخليفة.